**إن مع العسر يسرا**

**فغى هذا التعبير الدقيق من السر الحكيم ماقد يخفى على الناس**

**فهناك فرق واضح بين أن يقول الله عز وجل " إن بعد اليسر وبين أن يقول :**

**( إن مع العسر يسرا )**

إذ المعيه فى الاية الكريمة تدل بوضوح على أن العسر مهما كان شديد الوقع بالغ الاثر فهو يحمل فى طواياه الخفية بعض اليسر إذ ينطوى على منفعة خفية يعلمها الله ويجهلها الناس فكم من نعمة فى طى نقمه !! فعلى المؤمن الصادق خين يدركه العسر ان يعتقد ان الامر ليس شرا كله وان الوجه الظاهرى يخفى من الخير ما لا يدرك إلا بعد حين وكم من أناس داهمهم الزمان بما ضجوا منه صارخين واستحال عليهم الصبر لهول ما يحسون ويدركون ثم مضت الايام فإذا بشائر الخير تنهل مما حدث من سالف الشر فكأن فكأن المفاجأة الاولى كانت ميلادا عسرا لابد منه كى يشرق مولود جديد فاليسر حينئذ كان مصاحبا للعسر يندرج فى طياته دون ان يحسه الناس هذا ما يشير إليه التعبير القرآنى الدقيق

ولا ينافى ذلك أن يكون هناك من الاحوال ما يكون به الشر خالصا دون ان يخمل فى طياته بوادر الخير وهذا ما عبرت عنه اية كريمة أخرى حيث قال الله – عز وجل

سيجعل الله بعد عُسر يُسرا

ولا تصطدم حالة بحالة لأن ما يتقلب على الناس من نوازع البؤس والفرح أكثر من أن يندرج تحت مقياس واحد لا يتعداه

رأى الزمخشرى

هذا المعنى الذى أشرنا إليه من اصطحاب اليسر للعسر قى قوله تعالى :

إن مع العسر يسرا

لم نجده لدى الامام الزمخشرى وهو المفسر الذواقه البليغ بل رأينا ما يخالفه حيث قال فى الكشاف :

" فإن قلت : إن ( مع ) تفيد الصحبة فما معنى اصطحاب العسر واليسر ؟ قلت : أراد الله أن يصيبهم بيسر بعد العسر الذى كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المرتقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة فى التسلية وتقوية للقلوب "

فكأن صاحب الكشاف يذهب إلى أن التعبير قد قرت اليسر المتقرب حتى جعله كالمقارن للعسر مع أن العسر فى الاية مقارن لليسر فعلا وليس كالمقارن ولكل وجهة هو موليها

علاج اليأس

على أن اليأس داء قتٌال ولما كانت هواجس الانسان فى أكثر حالاته تدعوه إلى اليأس حين يدرك واقعة الظاهرى دون أن يمتد باستشفافه إلى ما يطويه الله من خير سيؤتى ثماره عن قريب فقد رسمت سورة الشرح سبلا لدرء هذا اليأس القاتل وهو التوجه إلى الله بالدعاء والارتكان كل الارتكان إلى عون السماء يقول الله جل ذكره

فإذا فرغت فانصب \* وإلى ربك فارغب

ليدعو الانسان الى يترك واقعه المظلم ويتجه الى السماء راغبا داعيا حيث يجد فى عونها الفرج الواسع من الفرج الضيق والالتجاء الى قدرة الله مما يبعث الطمأنينة ويرد التشاؤم لبى التفاؤل لأن صاحب القدرة يستجيب للمضطر اذا دعاه فيكشف السوء فهو إذن ملاذ اللائذين وغوث المستضعفين واذ كان القرآن الكريم فى ترتيبه المتناسق يكمل حلقات المعانى المتواشجة إكمالا يدركه البصراء بأساليب البيان فإن هذا التجاور بين صورة الضحى وسورة الشرح يؤكد حقيقة التفاؤل ويعلن تعاقب اليسر والعسر فقد دلت الايات الكريمة فى سورة الضحى على هذه الحقيقة الماثلة اذ انقطع الوحى عن رسول الله حينا من الدهر فلقى من ذلك الانقطاع عناء نفسيا مبرحا وقد شمت به من اعدائه من يتشقون بما يلقى من صعوبات فى طريق دعوته الكريمة فكانت شماتة الاعداء شدة اخرى تضاف الى الشدة الحادثة من انقطاع الوحى فمزل قول الله عز وجل (

نزل هذا القول الكريم ليبشر باليسر بعد العسر وبالفرج بعد الشدة وبالرجاء بعد اليأس وقد ضرب الامثلة بما تقدم من حياة الرسول حيث قال :

(

وفى ختام السورة يقول الله عز وجل : (

ليكون الحديث عن نعمة الله طاردا لليأس مؤكدا للأمل فإن الذى يتذكر ما أسلف الله له فى أمسه من خالص النعم لا ييأس من غده بل يقيس الاتى على الغابر فيرتاح

الايمان والامل

هكذا تترقب النفوس المؤمنة بوارق الامل فترتاح وهكذا تحاول جاهدة ان تطرد هواجس اليأس لتفىء إلى ظل الامن والطمأنينة وفى كتاب الله أمثلة تاريخية لبزوغ الامل فى ظلمات اليأس فقد اقتفى فرعون موسى وأصحابه حين فروا هاربين بدينهم الموحد وكان العدو من ورائهم والبحر من أمامهم ولا عاصم من الخطر إلا بمعجزة فغلبهم اليأس وصاحوا بموسى وجلين :

( إنا لمدركون )

ولكن نبى الله لم يفقد امله فى ربه مع أن كل الظروف تنذر بالشر المستطير فصاح فى عزم :

( إن معى ربى سيهدين )

وقد هداه الله فعلا الى باب النجاة فضرب البحر بعصاه وتمت له بذلك معجزة النجاة

ويعقوب : يفقد يوسف وتمتد دونه الاعوام دون عود ثم يفاجأ بفقد أحيه فلا يدركه اليأس من يوسف بل يصيح بأبنائه :

( )

ويتعجب أبناؤه من امله الموهوم فى اعتقادهم وكانوا قد قالوا فى يأس

(

وهم يتعجبون لهذا الامل فى عير مأمل ثم ينجلى الامر عن تحقيق رجائهم وسعادة عقباه

وقد فهم رجال الطب المعاصر أثر اليأس على جسم اليائس من اضطراب العضوى وحللوا ما يطرأ على جسم اليائس من اضطراب يقوده للوبال فذكروا أن اليأس يسبب الانقباض ويدعو صاحبه الى الكآبة والاحتجاز عن الناس فإذا خلا بنفسه تصور انه اتعس شخص فى الوجود وبالغ فى تصوره فيضيق صدره وتزيد سرعة النبضات فى قلبه وتنخفض حرارته شيئا فشيئا ثم يفقد شهية الطعام وتتكاسل الكبد تلقائيا عن اداء وظيفتها فيعقب ذلك هبوط تدريجى يتبعه ارتجاف الاعصاب والذين يؤكدون ذلك من رجال الطب لا يصدرون عن خيال روائى بل ينقلون حالات حية عرضت امامهم وادلاكوا ما دعا إليها من البواعث وما وصلت إليه فى النهاية من خطر منذر بالفناء فإذا كان اليأس داعية ذلك كله فلماذا لا نلجأ الى السماء آملين لتمدنا بالعون ؟ ولماذا لا نبحث هم اسبتب التفاؤل دون ان نستغرق فى هذا التشاؤم المطبق ؟ فقد يجعل الله بعد عسر يسار وفى الحياة شواهد تنطق بانفراج الازمات وانتهاء الشدائد وفى ذكر الله اطمئنان ( لليأس ) لانع يذكر من يعلم حالته ومن يستطع ان ينقذه من شره الوبيل

ان الانسان يسير فى الطريق رائحا غاديا يتصفح وجوه الناس فيعرف البائس المعذب ويعرف الامل السعيد اذ يرى البائس متهجم الاسارير متعثر الخطوات يحدثه زميله فلا يستوعب حديثه ويكلمه جليسه فيقتضب الرد كمن يحاول التخلص من الحوار كما يرى الامل المتفتح مبتهج النفس مشرق الطلعة يبدأ بالتحية ويستمع فيصغى فى ابتسام ويرد فى اطمئنان وقد يكون هذا الباسم السعيد ممن لا يملكون غير قوت اليوم ولكنه يأمل فى الغد على حين ترى من البائسين من يملكون القناطير المقنطرة من المال ثم لا تستطيع ان تمحو سهومهم الكالح وعبوسهم الكريه فالامل ثروة حقيقية يدونها يكون الغنى افقر الفقراء واليائس فقر مدقع لا تدفعه خزائن المال ولا بنوك الاستثمار وفى اخلاق القرآن ما يطرد اليأس ويحيى الامل لو اقبلت النفوس على هدى الكتاب لوجدت فيه أمنا من خوف وفرجا من ضيق

( وما يلقها إلا ذو حظ عظيم )